خلاصة الموقف مع الكتاب المقدس

١ - تمهيد :

نزل القرآن على رسول الله فى أمة أميّة فتعلّم منه المسلمون الأوائل « **نبأ ما قبلهم ، وخبر ما بعدهم ، وحُكم ما بينهم** » ، ولقد كان حب الاستطلاع دافعاً للبعض منهم أن يسأل أهل الكتاب من اليهود والنصارى عما فى كتبهم فقام ابن عباس - وقد استيقن من القرآن حقيقة ما جرى لأسفار السابقين - وقال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء وكتابكم الذى أُنْزِلَ على رسول الله - ﷺ - أحدث ، تقرأونه محضاً لم يشب وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً .

٢ - تقرير الحقيقة :

فى حملة من أهل الكتاب للغو فى القرآن ، قال أبو هريرة : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام ، وهنا قال رسول الله - ﷺ - قولاً قرّر به الحقيقة واضحة وضوح شمس الصحراء فى رابعة النهار - إذ قال : « **لا تُصَدّقوا أهل الكتاب ، ولا تُكَذّبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله** » .

إن هذا يعنى أن تلك الأسفار التى فى حوزة أهل الكتاب فيها : ما يمتنع تصديقه وفيها ما يمتنع تكذيبه ، فالأول قد جافى الحقيقة وتلبس بغيرها ، وأما الثانى فقد قال حقاً ونطق صدقاً .

٣ - شهود من أهله :

ظهر الإسلام ديناً شامخاً ، واكتمل بناؤه فى حياة رسول الله واستمر نفوذه فعّالاً عبر العصور . وخلال مساره الطويل بقى موقف السلطات الدينية اليهودية والمسيحية منه قائماً على محاربته والكفر بالنبى والقرآن . لكن السنوات الأخيرة حدثت فيها بعض التطورات الهامة .

وليس هذا مجال لعرض تلك التطورات ولكن يكفينا هنا أن نذكر بعضاً من شهادات السلطات الدينية لأهل الكتاب ممثلة فى هيئاتها وعلمائها . وإذا كان هذا لا يعنى قبولهم الكامل للإسلام إلا أن أهم تطور حدث فى هذا المجال هو اقتراب شهاداتهم عن أسفارهم المقدسة اقتراباً تطابقت نصوصه فى بعض الأحيان مع شهادات الإسلام .

(أ) تقول دائرة المعارف البريطانية عن أسفار العهد القديم :

« **لقد أصبح من الواضح : أن هذه الأسفار لا تحتوى كل الصدق وأن ليس كل ما تحتويه هذا الأسفار بصادق** » [١] .

عجباً حقاً ... !

أليس هذا ما سبق أن نطق به محمد رسول اللّه لفظاً ومعنى حين قال : « **لا تُصَدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم** » ؟!

(ب) فى عام ١٩٦٣ عُقِدَ فى كندا المؤتمر التبشيرى الثالث لطائفة الإنجليين . وكان مما قاله « كانون ماكس وارن » سكرتير جمعية التبشير الكنسية فى بحثه المقدَّم إلى المؤتمر :

« **لقد تجلى اللّه بطرق مختلفة . ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنُصِرَّ على القول بأن اللّه كان يتكلم فى ذلك الغار الذى يقع فى تلك التلال خارج مكة** » [٢] وهو يقصد بذلك الوحى إلى النبى محمد حين بدأ فى غار حِراء .

ويتحدث « بطرس واتيلى » الذى عُهِدَ إليه بكتابة تقرير عن هذا المؤتمر فيقول عن بحث « كانون وارن » : « من المحال تجنب استخدام ألفاظ الإبداع والسمو عند الحديث عنه . **لقد كان واحداً من أكثر الأحاديث التى**

---

(١) الجزء الثانى - ص ١٠٥

(٢) Frontier Mission, P. 18

استمعتُ إليها تأثيراً طيلة حياتى وذلك لما تميز به من سعة فى الفكر ووضوح الرؤيا » [1] .

(جـ) وفى عام ١٩٦٥ أصدر المجمع المسكونى الثانى للڤاتيكان فقرة عن كتب العهد القديم جاء فيها :

« **إن هذه الكتب تحتوى على شوائب وشيء من البطلان** » .

(د) ومنذ نزل القرآن والجاحدون له مُصِرّون على اللّغو فيه وإذاعة الأراجيف والترهات حول النبى الذى جاء به . ولقد سجل القرآن عليهم تلك المواقف وأقام عليهم الحجج التى أعجزتهم وأشياعهم إلى يوم الدين .

لقد كان مما قالوه : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (الفرقان : ٤ - ٥) .

وقالوا : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل : ١٠٣) .

لقد كان الأولى بذلك المعلّم الخرافى أن يظهر بتعليمه ، بدلاً من أن يعطى الفضل لغيره ، ولكن ما الحيلة وقد عميت الأبصار وتحجرت القلوب ...

ولقد كان القرآن يستدرجهم إلى ميدان التحدى ، فما داموا يدّعون أن مصدره بشرى أرضى وليس وحياً إلهياً ، فقد دعاهم إلى الإتيان بمثله ، فقال فى سخرية أليمة :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٣ - ٣٤) .

وبعد أن قال لهم : ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود : ١٣) عاد فتحداهم بسورة واحدة ، فقال مخاطباً الناس أجمعين :

---

(١) المرجع السابق : ص ١٧

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣) .

ولما كان القرآن تنزيلاً ممن ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (١) فقد كتب العجز على معانديه فقال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) .

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

*

ولقد حلا للكثير من أهل الكتاب حين رأوا القرآن يعرض قصصاً يشابه بعض ما فى أسفارهم أن يُردِّدوا ما سبق أن قاله الكفار من اطلاع النبى على كتب الأوّلين وترديدها .

ولو كان لذلك الزعم أساس لهدمه قول بعض الباحثين المسيحيين - حين قارنوا بين أحاديث كل من أسفار العهد القديم وخاصة التوراة والأناجيل ، والقرآن وذلك فى الموضوعات المشتركة بينهم - فقد تبيَّن لهم أن القرآن خلا من الأخطاء « والشوائب والبطلان » الموجودة فى غيره . فكيف يتأتى ذلك إن لم يكن مصدره إلهياً ؟!

وفى هذا يقول « موريس بوكاى » : « لا يجد قارىء القرآن أخطاء فى الأسماء كتلك التى يجدها فى الأناجيل ونعنى الأخطاء الخاصة بأسلام المسيح واستحالات الأنساب فى العهد القديم (والتى تجعل الطوفان يحدث فى القرن ٢٢ قبل المسيح ، وفى عصر كانت هناك حضارات مزدهرة على الأرض فبالنسبة لمصر كان ذلك فى الفترة الوسطى التى تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . وبالنظر إلى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه يكون مضحكاً القول بأن الطوفان قد دمر فى ذلك العصر كل الحضارات) .

---

(١) الأعراف : ٥٤

ومرة أخرى تفرض الموضوعية أن نشير إلى ادعاء هؤلاء الذين يقولون بلا أى أساس أن محمداً - ﷺ - مؤلف القرآن قد نقل كثيراً من التوراة ، ولو كان ذلك حقاً لتساءلنا مَن الذى دفعه أو ما الحجة التى أقنعته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق بأسلاف المسيح وادخال تصحيح فى القرآن يضع نصه بعيداً عن أى مرمى نقدى تثيره المعارف الحديثة ، على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه » ؟ (١) .

* *

وبعد .. لقد بيَّن القرآن حقيقة الأسفار اليهودية والمسيحية ، فصدَّق على ما بها من بقايا حق أنزله الله ، وصحَّح ما بها من أساسيات خالطها كثير من « شوائب وبطلان » ثم جاء مهيمناً عليها بما استحدث وشرَّع ، فنقل الرسالة من القَبلية المحدودة إلى العالمية الواسعة ، مع ما يتطلبه ذلك من تعاليم وضوابط ومعالجات لمختلف القضايا التى تهم العالمين :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل : ٦٤) .

*

إن حديث القرآن عن أهل الكتاب وأسفارهم إنما هو معجزة تقوم بذاتها ، وهى معجزة أساسها العلم الذى تُحَصِّله البشرية بالدراسة والتمحيص خلال العديد من القرون ، ثم تأتى النتيجة مطابقة لما قال به محمد رسول الله الذى كان يتعلم الآيات من القرآن وحياً فى لحظات .

لقد كان من جوامع كلمه : « لا تُصَدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم » ..

إنها معجزة ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ .. (العنكبوت : ٤٣) .

*

(١) دراسة الكتب المقدسة : ص ٢٤٢

محمد نبى الملكوت

جاء يحيى بن زكريا ، والمسيح عيسى ، ومن بعده تلاميذه وحواريوه يُبَشِّرون جميعاً باقتراب « ملكوت اللّه » أو « ملكوت السموات » .

فمن الواضح « أن ملكوت اللّه » أو « ملكوت السموات » هو شئ عظيم وخطير الشأن ، وتحقيق للنبوءات السابقة . وهو أمل يُرتَجى فى تخليص البشرية من أغلالها وهدايتها إلى طريق اللّه البَرِّ الرحيم . ومن المؤكَّد أن « ملكوت اللّه » شئ يأتى بعد المسيح الذى جاء يُبَشِّر باقترابه .

*

ولقد بيَّن المسيح أن الملكوت يعنى نبوَّة ورسالة . ففى حواره مع « رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » فى الهيكل ، ألقى إليهم النذير بنزع النبوَّة من بنى إسرائيل وإعطائها لأُمة أُخرى أفضل وأجدر بحمل رسالة اللّه إلى الآخرين - فقال قولته الشهيرة : « لذلك أقول لكم : إن ملكوت اللّه يُنْزَع منكم ويُعْطَى لأُمة تعمل أثماره » .

لقد أُوتِىَ بنو إسرائيل النبوَّة وحملوا الرسالة فماذا فعلوا ؟ !

تربصوا بالأنبياء وعصوا المرسلين ، فاستحقوا ما جرى لهم ، واللّه أعلم بما هو آت ..

ولقد جاء محمد نبى الملكوت المُنْتظَر بعد المسيح ، وهو نبى - لا يزال - يقول فيه الإنجيل على لسان المسيح مخاطباً تلاميذه :

« إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » .

وأخيراً جاء محمد نبى الملكوت .. فماذا فعل الذين كانوا ينتظرونه ؟

لقد كانوا أول كافر به ... !

إنها قصة متكررة تستقى أحداثها المأساوية من قلوب مريضة ونفوس هوى بها الهوى .

فلا يزال اليهود يُصَلُّون إلى اليوم من أجل قدوم المسيح المُخَلِّص ...

ولقد جاء المسيح منذ ٢٠ قرناً ، وبَلَّغ الرسالة وأعطى البشارة وهم له رافضون .

ولا يزال المسيحيون يُصَلُّون إلى اليوم من أجل قدوم ملكوت الله قائلين : « أبانا الذى فى السموات .. ليتقدس اسمك وليأت ملكوتك » .

ولقد جاء الملكوت منذ ١٤ قرناً : نبيه محمد ، وكتابه القرآن ، ورسالته الإسلام ، لكنهم بقوا على حالهم من الغفلة والصد والنكران .

ولقد بلغ الضلال غايته حين نُسِجَت حول الإسلام وكتابه ونبيه أحاديث الإفك ودِعاوى الباطل ، وأُلصق به ما ليس منه فى شئ ، ثم ما لبثت تلك الأباطيل أن صارت تراثاً ، يتوارثونها جيلاً بعد جيل .

وكان قمة المأساة حين وقف **البابا إيربان الثانى رأس الكنيسة الكاثوليكية** ليعطى فى مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ إشارة البدء بالحروب الصليبية - محطماً بذلك كل ما تقوله الأناجيل عن تعاليم المسيح فى المحبة والتسامح - ثم ينعت المسلمين بالكفرة ويقول لسامعيه :

« أنتم فرسان أقوياء ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم . **ولكن تعالوا حاربوا الكفار** . يا من تنابذتم اتحدوا ، يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنوداً .

تقدموا للدفاع عن المسيح . لا تمنعكم عواقيب ، ولا تُلهكم نساؤكم ولا أولادكم ولا أموالكم عن القتال فى سبيل الله .

تقدموا إلى بيت المقدس . انتزعوا الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم فهى تدر سمناً وعسلاً .

اذهبوا إلى القتال وسنرتب أموركم وأموالكم فى غيابكم .

سأغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التى زوّدنى بها الله » !

ولقد استمر ذلك الحقد الأسود هو الميراث الذى يحرص الجميع على الأخذ منه بنصيب ولو كان أقل القليل .

وإذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت فى تحقيق مطامع مثيريها فى الاستيلاء على الأرض واغتصاب خيراتها وإقامة ممالك صليبية فى الشرق الإسلامى . فإن روحها العدوانية لا تزال تتحكم فى تحديد السياسة الدولية إلى الآن .

يقول « إيوجين روستو » رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس الأمريكى السابق « ليندون چونسون » حتى عام ١٩٦٧ : « يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية .

لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى (الحروب الصليبية) وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة . ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى ، فلسفته وعقيدته ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام . لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها » [١] .

---

(١) سلسلة : نحو وعى إسلامى : العدد ٢ ، ص ٢٥ ، ٢٦

إن « رستو » يحدد بوضوح أن هدف الاستعمار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية وذلك استمراراً للحروب الصليبية ، وهو فى هذا لا يأتى بجديد ، إنما هو يردد تعاليم عُتاة الاستعمار الغربى وينهل مما توارثوه جميعاً من جهل بالإسلام وحقد عليه ورعب ملأ قلوبهم منه بسبب ما أشاعته السلطات الدينية حوله من أساطير وخرافات .

فمن قبل قال « جلادستون » رئيس وزراء بريطانيا : « ما دام هذا القرآن موجوداً ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان » (١) .

وحين احتلت بريطانيا فلسطين فى الحرب العالَمية الأُولى نشرت الصحف البريطانية صورة **الجنرال « اللّنبى »** وكتبت تحتها عبارته المشهورة التى قالها عقب فتح القدس : « **اليوم انتهت الحروب الصليبية** » .

وقد هنأ « **لويد جورج** » **وزير الخارجية البريطانية** الجنرال « اللّنبى » فى البرلمان لإحراز النصر فيما أسماه : **الحملة الصليبية الثامنة** .

وكانت هذه السموم هى التى نفثها **الجنرال « جورو » الفرنسى** عندما اقتحم دمشق وتوجه فوراً إلى قبر صلاح الدين وركله بقدمه قائلاً : « **ها قد عدنا يا صلاح الدين** » .

وهكذا يحصد المسلمون والمسيحيون ثمار ضلالات دينية سببها الجهل المتعمّد بالإسلام - لا تزال حتى الآن سبباً وحيداً لاشتعال الحروب المتتالية بينهم .

* *

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق : ص ٤١ ، تأليف المستشرق النمسوى « ليوبولد فايس » ، وكان قد بدأ فى عام ١٩٢٢ عمله مراسلاً متجولاً لعدد من الصحف الأوروبية فى الشرق الإسلامى حيث درس أحواله الدينية والسياسية والاجتماعية ولما عاد إلى النمسا عام ١٩٢٦ أعلن إسلامه وتسمى باسم « محمد أسد » .

إن تبعة ذلك كله تقع أولاً على عاتق علماء المسيحية ومبشريها ، ثم هى تقع بعد ذلك على عاتق كل مَن يؤمن بتعاليم المسيح فى الإنجيل ويصدقها القول والفعل .

*

وإذا تركنا مسيحية القرون الوسطى والنظرة الخاطئة للإسلام والمسلمين وسرنا عبر التاريخ حتى مطلع القون العشرين ، لوجدنا تكريساً لما سبق من خرافات وأباطيل .

فقد عُقِدَ بالقاهرة عام ١٩٠٦ مؤتمر عام للتبشير يجمع إرساليات التبشير البروتستانتينية للتفكير فى نشر الإنجيل بين المسلمين . وقد افتُتِحَ يوم ٤ إبريل فى منزل أحمد عرابى باشا فى باب اللوق وبلغ عدد مندوبى الإرساليات ٦٢ بين رجال ونساء ، من الولايات المتحدة وإنجلترا وألمانيا وهولندا والسويد والدانمرك . وانتُخِبَ القسيس « زويمر » - رئيس إرساليات التبشير فى البحرين وصاحب فكرة عقد المؤتمر - رئيساً له . وقد جُمِعَت أبحاثه فى كتاب يحمل اسم « وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين » واشتمل الفصل الأول منه على بحث « عما إذا كان الإله الذى يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا ؟ وقد صرَّح الدكتور « لبسيوس » بأن إله الجميع واحد ، إلا أن القسيس « زويمر » خالفه فى هذا الرأى فقال : إن المسلمين مهما يكونون مُوَحِّدين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة » [١] .

عجيب حقاً أمر هؤلاء الناس ...

لقد عُرِفَ الإسلام كدين منذ منتصف القرن السابع ، واشتُهِرَ بالتوحيد الخالص وعبادة الإله الواحد خالق كل شئ ، والتصديق بكل رسالات الله وكتبه وأنبيائه ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى المسيح .

تلك كلها معلومات أولية لا تحتاج من غير المسلم إلى دراسة أو تمحيص .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى : ص ٢٢

ومع ذلك نجد البابا « إيريان الثانى » يقف بعد ذلك بنحو خمسة قرون ليعلن للشعوب المسيحية أن المسلمين كفار .. ! وتستمر السلطات الدينية المسيحية فى التشكيك فى إيمان المسلمين بالله لدرجة أن يُثار فى مؤتمر القاهرة التبشيرى عام ١٩٠٦ سؤال عما إذا كان إله المسلمين هو إله المسيحيين واليهود ، ثم يصر كبير المبشرين « زويمر » على رفض القول بأن الإله واحد فى الديانات الثلاث .

ولعل السبب فى هذا الموقف هو أنه ما دام إله المسلمين هو إله المسيحيين فإن السؤال الذى يعقب ذلك بداهة هو : لماذا - إذن - يقوم تبشير بالنصرانية بين المسلمين ؟ .

آنذاك يقتصر نشاط التبشير على الوثنيين - هذا إذا كان هدفه دينياً حقاً ولم يربط نفسه بالاستعمار والسيطرة العنصرية - وآنذاك يفقد كثير من المبشرين ما يتمتعون به من مكاسب مادية ومعنوية .

* * *

● **نحو صفحة جديدة :**

إن عهداً جديداً فى العلاقات بين المسيحية والإسلام يوشك أن يبدأ وهو عهد يطوى صفحات الماضى بكل شرورها ومآسيها ويفتح آفاقاً واسعة من الفهم والاعتراف بالحقائق التى تأتى نتيجة الدراسات الجادة والمجرَّدة عن الأحكام المسبقة .

ولقد بدأ يلوح فى الآفاق ما ينبئ بإمكانية تحقيق فهم أفضل من المسيحية نحو الإسلام ، وذلك فى عصر يتجه نحو العالَمية ويواجَه فيه المؤمنون بالأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - خطر الإلحاد والكفر بالله ورسالته .

فلقد أبطلت الكنيسة الكاثوليكية فى النصف الثانى من القرن العشرين ما سبق أن أعلنه أحد رؤسائها السابقين فى نهاية القرن الحادى عشر ، من اعتبار المسلمين كفاراً ، وذلك فى بحوثها التى عُرِضَت فى المجمع الثانى للڤاتيكان ، والذى عُقِدَ فى الفترة ٦٣ - ١٩٦٥ .

فقد قالت هذه الوثائق : « **إن كنيسة المسيح تعترف بأن مبادئ عقيدتها قد بُنِيَت لدى الرسل والأنبياء طبقاً لسر الخلاص الإلهى . فهى تعترف فعلاً بأن جميع المؤمنين وهم أبناء إبراهيم - حسب العقيدة - داخلون فى رسالة ذلك النبى .**

وبدافع المحبة نحو إخواننا فلننظر بعين الاعتبار إلى الآراء والمذاهب ، التى وإن تباينت كثيراً عن آرائنا ومذهبنا ، فإنها تضم نواة من تلك الحقيقة التى تُنير قلب كل إنسان يُولَد فى هذا العالَم ..

ولنعانق أولاً المسلمين الذين يعبدون إلها واحداً ، والذين هم أقرب إلينا فى المعنى الدينى وفى علاقات ثقافية إنسانية واسعة » .

* *

وفى عام ١٩٧٧ عُقِدَ فى قرطبة المؤتمر الثانى للحوار الإسلامى المسيحى . وقد ألقى كلمة الافتتاح **الكاردينال « أنريكى ترانكون » مطران مدريد ورئيس أساقفة أسبانيا** - فكان مما قاله :

« إنى كأسقف أود أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان الماضى ، كما يريد المجمع البابوى منهم ، وأن يعربوا عن احترامهم لنبى الإسلام .. إن المجهودات الفكرية واللاهوتية التى يتسم بها هذا المؤتمر تهدف إلى غاية بعيدة ، إلى البحث بكل أمانة عن البراهين التى تحمل المسيحيين على تقدير محمد نبى الإسلام تقديراً إيجابياً استناداً إلى العقيدة المسيحية وطرق فكرنا اللاهوتى ..

إن هذا شئ هام جداً بالنسبة للمسيحى ، إذ كيف يستطيع أن يُقَدِّر الإسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التى بثها ولا يزال يبثها فى حياة أتباعه ؟ إن ذلك سيكون دليلاً على عدم المحبة والاحترام للمسلمين الذين يجب أن ننظر إليهم بتقدير كما بحثنا فى المجمع الكاثوليكى .

لن أحاول هنا تعداد قيم نبى الإسلام الرئيسية الدينية منها والإنسانية فليست هذه مهمتى ، وسوف يلقيها عليكم الأخصائيون

واللاهوتيون المسيحيون بالمؤتمر .. **غير أنى أريد أن أبرز جانبين إيجابيين - ضمن جوانب أخرى عديدة - وهما إيمانه بوحدة الله وانشغاله بالعدالة .**

أما إيمانه بالله الأحد فهو سمة رسالته وحياته . إنها أهم عقيدة تركها لأمته .

وأما دعوته إلى العدالة مع شتَّى التطبيقات الدينية والاجتماعية فهى ما تزال قائمة .. بَيْدَ أنى أود أن أخص بالذكر دعوته إلى سواسية الناس رجالاً ونساءً وإلى تحقيق العدالة بينهم » .

*

وفى مؤتمر قرطبة ألقى الدكتور « **ميجيل كروث إيرناندث** » بحثاً عن « **الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كوَّنتها المسيحية عن النبى محمد** » - وقد جاء فيه : « **سبق أن أكدتُ فى مناسبة سابقة - وأظن أننى قد قررت ذلك عدة مرات - الاستحالة من الوجهة التاريخية والنفسية لفكرة النبى المزيف التى تُنسب لمحمد ما لم نرفضها بالنسبة لإبراهيم وموسى وأصحاب النبوَّات الأخرى من العبرانيين الذين اعتُبروا أنبياء .**

إنه لم يحدث أن قال نبى (منهم) بصورة بيِّنة وقاطعة - أن عالَم النبوَّة قد أُغلق .. وفيما يتعلق بالشعب اليهودى فإن عالَم النبوة ما يزال مفتوحاً ما داموا ينتظرون المسيح المُخَلِّص ..

أما فيما يتعلق بالحركة المسيحية فإنه لا يوجد أى تأكيد قطعى يدل على انتهاء عالَم النبوَّة ، وأى قارئ لرسائل القديس بولس وآثار الحواريين وسِفر الرؤيا يعلم ذلك جيداً .

وفيما يتعلق بى فإن يقينى أن محمداً نبى لدرجة أننى حاولت فى دراسة لى كُتِبَت عام ١٩٦٨ أن أشرح كيف أن محمداً كان نبياً حقاً

من وجهة النظر الدينية المسيحية ، وكيف أن الله يمكنه بل ويريد رسالة النبى للعرب برغم وجود الديانة المسيحية » .

*

كذلك قال « **إجناثيو نايت » أستاذ تاريخ الثقافة بالجامعة المركزية بمدريد** فى بحث له ألقاه فى مؤتمر قرطبة بعنوان « **إلى أى مدى يُعْتَبر محمد نبياً من قِبَلِ المسيحيين » :**

« إن محمداً هو نبى إحدى الديانات الكبرى المعاصرة .. إن الاسلام اليوم هو أكبر قوة حية وهو الذى يدفع تيّارات العالَم الثالث ويجمع بين ١.٢ دولة من الدول النامية وغير المنحازة فى مواجهة أغنى ٣. دولة فى العالَم الأول الرأسمالى والصناعى وفى مواجهة ٢. دولة من دول العالم الثانى الشيوعى .

وإذا كانت المسيحية قد تشعبت ليس فقط إلى ٢٦. مذهباً موجوداً الآن وإنما انقسمت إلى ثلاث شُعَبٍ كبيرة : الأرثوذكسية الشرقية ، والبروتستانت ، والكاثوليك - وكذلك البوذية تشعبت إلى المهايانة والهينيلنه والزن اليابانى - فإن الاسلام ما يزال يحتفظ بأساس وحدته .

إن الإسلام ليس استمراراً فحسب بل وتقدماً كذلك . وفى إفريقيا نجد أن هناك شخصاً يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الإسلام، ولا نريد أن نعرض للبوذية أو غيرها من الديانات التى تعانى من حالة انقراض واضح ..

ولماذا نرى أن الاتحاد ضرورى بين أتباع الديانات ؟ من الممكن استنتاج الإجابة مما عرضناه سابقاً ، ذلك أنه لم يحدث قط فى تاريخ الإنسانية أن زحف الإلحاد بهذه الصورة . لقد كانت الديانات تتصارع فيما بينها للسيطرة على أتباعها ولكنّا اليوم أمام الدفاع عن العقيدة الجامعة ، أى الإيمان باللّه بعد أن أصبح هذا الإيمان فى حالة خطر .

وفى نهاية الأمر ومع ترك الاختلافات الموجودة بين العديد من الديانات ،

ومع النظر فيما يجمع بيننا ، نتساءل : أليس الإله واحداً ؟ . أما فيما يتعلق بالأنبياء فهم مشتركون : محمد وموسى وعيسى .

وهكذا فإن الوحدة أمر حاسم ومهم لتخليص البَشرية وعقائدها المشتركة فى الإله .

ويجب أن يكون ذلك بالدرجة الأولى بين الديانتين الكبيرتين : المسيحية والإسلام ، حتى يمكنهما بعد ذلك جذب البوذية واليهودية والهندوكية .

ولهذا فإن الخطوة الأولى نحو الهدف الواسع والبعيد هى دراسة وفهم وتقدير عيسى ومحمد ، وعما نبيان مؤسسان ومحبوبان من جميع المؤمنين » .

* *

• المسيح ليس خاتم النبيين :

لقد تعرّض المسيح لما تعرّض له سائر الأنبياء من السخرية والتكذيب . « ولما جاء إلى وطنه كان يُعَلّمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوّات ؟! أليس هذا ابن النجار ؟! أليست أمه تدعى مريم ، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟! أو ليست أخواته جميعهن عندنا ؟! فمن أين لهذا هذه كلها ؟! **فكانوا يعثرون به** » .

لقد كان المسيح عالما بتلك الحقيقة ، وأنه كنبى - مثل غيره من الأنبياء - لا بد وأن يواجه مثل تلك المواقف ، ولهذا ألقى إليهم قوله الذى يمثل حكمة صدّقتها أحداث الزمان : « فقال لهم : **ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته** » .

(متى ١٣ : ٥٤ - ٥٧ ، مرقس ٦ : ١ - ٤ ، لوقا ٤ : ٢٤ ، يوحنا ٤ : ٤٤)

لقد كانت هذه واحدة من المقولات القليلة التى اتفقت عليها الأناجيل الأربعة .

*

ولقد كان المسيح عالماً بما تقوله الأسفار المقدّسة عند بنى إسرائيل - وهو واحد منهم - عن الأنبياء الذين ظهروا فيهم ، وكان منهم قلة من الصادقين ، أهل الحق والحقيقة ، وبجانبهم كثرة كاثرة من أدعياء النبوة ومحترفيها . وفى هؤلاء الكذبة تقول أسفار العهد القديم :

« **قد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة** . تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبى إسرائيل .

وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يُقشعر منه : يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره .. **من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق فى كل الأرض** . هكذا قال رب الجنود : لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم . فإنهم يجعلونكم باطلاً . يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب ..

« قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا بأسمى بالكذب قائلين : حلمت ، حلمت . حتى متى يوجد فى قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب بل هم أنبياء خداع قلبهم . **الذين يفكرون أن يُنسوا شعبى اسمى بأحلامهم** »

(أرميا ٢٣ : ١٣ - ٢٧)

« هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : **لا تغشكم أنبياؤكم الذين فى وسطكم** وعرّافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التى تتحلمونها . **لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمى بالكذب . أنا لم أرسلهم يقول الرب** » .

(أرميا ٢٩ : ٨ - ٩)

*

وبعد أن جاء المسيح رسولاً من الله إلى بنى إسرائيل ، وأبلغهم رسالة ربه ثم رحل عنهم ، ظهر من بعده - وخاصة بين المنتسبين إلى الطائفة الجديدة التى حملت اسمه - أنبياء كذبة وأدعياء رسالة مزيفة . وفى هذا تقول أسفار العهد الجديد : « ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس **وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه باريشوع** » (أعمال الرسل ١٣ : ٦) .

« **أيها الأحباء : لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح ، هل هى من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالَم** .. هم من العالَم ، من أجل ذلك يتكلمون من العالَم والعالَم يسمع لهم . نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومَن ليس من الله لا يسمع لنا . من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال » (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١ - ٦) .

« أيها الأولاد : هى الساعة الأخيرة . وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى ، **قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون** . من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة . **منا خرجوا** ، لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا ، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٨ - ١٩) .

« **ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة الذين يدسون بِدع هلاك** » .

(رسالة بطرس الثانية ٢ : ١)

« ولكن ما أفعله سأفعله ، لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضاً فى ما يفتخرون به . **لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح** » .

(كورنثوس الثانية ١١ : ١٢ - ١٣)

لقد كان ادعاء النبوَّة وبأ انتشر فى الشعب الإسرائيلى قبل المسيح ، ثم امتدت عدواه إلى الطائفة الجديدة التى بدأت تنشق عن اليهودية وتقيم لها كيانا مستقلاً ، وصار أتباعها يُعرَفون باسم المسيحيين (أعمال الرسل ١١ : ٢٦) . ومن أجل ذلك حذر المسيح من أدعياء النبوَّة ، فقال : « **احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تيناً** » (متى ٧ : ١٥ - ١٦) .

ومن الواضح أنه لو كان المسيح خاتم الأنبياء والمرسلين لقرر ذلك صراحة ، ولم يُكَلِّف أتباعه مشقة فحص النبوءات من بعده وفق معيار الثمار التى تجتنى منها ، للتمييز بين الحق والباطل .

وما كان له أن يقول إنه خاتم النبيين بعد حديثه الصريح - الذى ذكرناه سلفاً - عن الرسول روح الحق الآتى بعده إلى العالم ، والذى يذكره الإنجيل بأنه سيكون : « **معزياً آخر** » - (يوحنا ١٤ : ١٦) ، سبقه ولا شك معزون آخرون .

*

وبجانب هذا ، تتحدث أسفار العهد الجديد عن استمرارية النبوّة الحقة بعد المسيح ، وعن وجود أنبياء حقيقيين فى الشعب المسيحى ، فتقول :

« فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً .

وفى تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية . وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة ، الذى صار أيضاً فى أيام كلوديوس قيصر » (أعمال الرسل ١١ : ٢٦ - ٢٨) .

« **وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون** » .

(أعمال الرسل ١٣ : ١)

« ويهوذا وسيلا ، **إذ كانا هما أيضاً نبيين** ، وعظا الإخوة بكلام كثير وشدداهم » (أعمال الرسل ١٥ : ٣٢) .

« وضع الله أناسا فى الكنيسة : أولاً رسلاً ، **ثانياً أنبياء** ، ثالثاً معلمين ، ثم قوات ، وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانا تدابير ، وأنواع ألسنة » .

(كورنثوس الأولى ١٢ : ٢٨)

« جدوا للمواهب الروحية **وبالأولى أن تتنبأوا** .. إنى أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة ، ولكن بالأولى أن تتنبأوا . لأن **مَن تنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة** ..

أما الأنبياء : فليتكلم إثنان أو ثلاثة ، وليحكم الآخرون .. لأنكم تقدرون جميعكم أن تتنبأوا واحداً واحداً ، ليتعلم الجميع ويتغرى الجميع . **وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء** » (كورنثوس الأولى ١٤ : ١ - ٣٢) .

« لا تطفئوا الروح . **لا تحتقروا النبوّات . امتحنوا كل شيء** . تمسكوا بالحسن . امتنعوا عن كل شبه شر » (تسالونيكى الأولى ٥ : ١٩ - ٢٠) .

*

أما بعد ..

لقد كان هذا تبياناً لابد منه لما قاله **الدكتور « ميجيل كروث إيرناندث »** ، فى بحثه الذى قدّمه فى مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى بقرطبة - وذكرناه سلفاً - حين قرر أنه : « **فيما يتعلق بالحركة المسيحية ، فإنه لا يوجد أى تأكيد قطعى يدل على انتهاء عالم النبوّة (بعد المسيح) ، وأى قارىء لرسائل القديس بولس وآثار الحواريين وسِفر الرؤيا يعلم ذلك جيداً** .

*

على أن أسفار « **موسى والأنبياء** » قد بيّنت للناس جميعاً كيفية التمييز بين النبى الصادق والنبى الكاذب ، فقررت أن :

١ - النبى الكاذب لا يقول : لا إله إلاّ اللّه . فهو يزيغ الناس عن عبادة الاله الواحد الذى أنزل التوراة على موسى :

« إذا قام فى وسطك نبى أو حالِم حِلماً وأعطاك آية أو أُعجوبة . **ولو حدثت الآية أو الأعجوبة** التى كلّمك عنها قائلاً : لنذهب وراء آلهة أُخرى لم نعرفها ، ونعبدها ، **فلا تسمع لكلام ذلك النبى إذ الحالِم ذلك الحِلم ، لأن الرب يمتحنكم** لكى يعلم هل تحبون الرب إلٰهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » (تثنية ١٣ : ١ - ٣) .

٢ - النبى الكاذب يطلق نبوءات كاذبة لا تتحق :

« وإن قلتَ فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب . **فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب** ، بل بطغيان تكلّم به النبى فلا تخف منه » .

(تثنية ١٨ : ٢١ - ٢٢)

٣ - وتكون عاقبة النبى الذى يفترى على اللّه الكـذب أن يعاجله الموت سريعاً :

« وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أُوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، **فيموت ذلك النبى** » (تثنية ١٨ : ٢٠) .

ولقد كان هذا ما حدث فعلاً للأنبياء الكذّابين . فقد « قال أرميا النبى (الصادق) لحننيا النبى (الكاذب) : اسمع يا حننيا . إن الرب لم يرسلك ، وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب .

لذلك هكذا قال الرب : هأنذا طاردك عن وجه الأرض . هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب . **فمات حننيا النبى (الكاذب) فى تلك السنة فى الشهر السابع** » (أرميا ٢٨ : ١٥ - ١٧) .

« هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل عن **آخاب بن قولايا وعن صدقيا بن معسيا اللذين يتنبآن لكم باسمى بالكذب وهأنذا أدفعهما ليد نبوخذ ناصر ملك بابل فيقتلهما أمام عيونكم** ..

ثم صار كلام الرب إلى أرميا قائلاً : أرسل إلى كل السبى قائلاً : **هكذا قال الرب لشمعيا النحلامى . من أجل أن شمعيا قد تنبأ لكم وأنا لم أرسله وجعلكم تتكلون على الكذب . لذلك هكذا قال الرب . هأنذا أعاقب شمعيا النحلامى ونسله . لا يكون له إنسان يجلس فى وسط هذا الشعب** » (أرميا ٢٩ : ٢١ - ٣٢) .

وما كان الله لينذر إنساناً يدّعى أنه رسول الله ، كذباً وافتراءً على الله ، دون أن يعاجله بالموت . فلقد وصل ذلك الدّعى فى ظلمه إلى مداه . وفى هذا يقول القرآن العظيم :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٤٤) .

وكان حديث الله إلى الكافرين بنبوّة محمد من مشركى العرب ، ومَن على شاكلتهم حتى الآن ، أن يعلموا قضاء الله حقاً وعدلاً فى كل مفتر كذّاب ، وهو أن يعاجله بالموت عقاباً له . فقال - وقوله الحق - فى بعض أوائل آيات القرآن نزولاً :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة : ٤٤ - ٤٧) .

نعم ...

إن بقاء محمد بن عبد الله يدعو إلى الله بصفته رسولاً منه إلى الناس بإذنه ، لمدة تزيد على اثنين وعشرين عاماً ، تعرّض فيها لمختلف المخاطر والأهوال ، وخرج منها جميعاً سالماً وقد اكتملت رسالته وأتمّ الله دينه ، ثم انتهت حياته بميتة طبيعية بين أهله وصحابته والمسلمين ، إنّ فى ذلك لبرهاناً من أقوى البراهين على صدق ما جاء به ، وآية بيّنة لأهل الكتاب - من اليهود والنصارى- الذين لا بد وأن يعوا ما تقول كتبهم فى النبوّة والأنبياء .

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾ .
(الحج : ٤٦)

* * *

● المشكلة والحل :

لقد عرضنا آنفاً بعضاً مما قاله علماء المسيحية ومفكريها الدينيين فى مؤتمر قرطبة عام ١٩٧٧ ، وكيف دعوا إلى قيام وحدة بين الإسلام والمسيحية للدفاع

عن الإيمان بالله أمام تيّارات الإلحاد الزاحفة التى تدمر كل قيم الإنسان وأخلاقياته وتهوى به إلى ما دون مرتبة الأنعام .

ومن الواضح أن الحديث عن الوحدة هنا يُقْصَد به وحدة الفكر الدينى وهو أمر لا يمكن تحقيقه بالتمنى ولا حتى بالنوايا الطيبة . ولكنه يحتاج إلى مراجعة للمواقف ومواجهة للحقائق وإعادة العالَم الصغير قبل توحيد العالَم الكبير .

إن المنطق يقضى بأن تقوم الوحدة المسيحية أولاً بين طوائفها المختلفة ، بعد ذلك تلتقى المسيحية الموَّحدة مع الإسلام للاتفاق على ما يجمع بينهما وترك نقاط الخلاف بعد إعلانها صراحة .

وإذا أردنا مواجهة الحقائق ومعرفة سبب الفُرقة والشقاق الذى وَلَّدَ العداوة والبغضاء نقول ما يقوله « ستيفن رنسيمان » فى حديثه عن الشِقاق الدينى فى المسيحية : « إن الموضوع الأساسى الذى دارت حوله خصوماتهم ومنازعاتهم فكان طبيعة المسيح التى تُعتبر أهم وأعقد المشاكل فى أصول الدين المسيحى » (١) .

لقد جاءت هذه المشكلة - التى مزقت المسيحية عبر القرون ومنعت ولا تزال تمنع أى إمكانية لحدوث تقارب فكرى مع الإسلام - من بذور ألقاها بولس فى رسائله التى بدأت كتابتها بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاماً . لقد خلط بولس بين الله والمسيح ، ومن ثَمَّ بدأ الحديث عما يُعرف بلاهوت المسيح وتجسد الإله .

يقول بولس : « الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ، ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » .

« الله .. الذى لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » .

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية : الجزء الأول - ص ٢٠

« إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً الله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً شبه الناس » .

ثم جاء إنجيل يوحنا الذى كُتِبَ بعد رفع المسيح بمدة تتراوح بين ٧٠ و ٩٠ عاماً ليُكَرِّس فكرة الخلط بين الله والمسيح وتجسيد الله ويقول : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » .

هذه هى المشكلة العقائدية التى تمنع كل وحدة ، والحل الوحيد هو الالتزام بما تذكره الأناجيل من ألقاب وأسماء للمسيح قَبَلَها بل ودعا إلى التمسك بها . لقد أجمعت الأناجيل على أن المسيح هو : ابن الإنسان - ابن داود - رسول الله - نبى - سيد - ومُعَلِّم ..

ويكفى التذكرة بما قاله المسيح لتلاميذه : « **أنتم تدعوننى مُعَلِّماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك** » .

لقد بيَّن البحث العلمى الذى قام به سبعة من علماء المسيحية المعاصرين أن الحديث عن تجسد الله إنما يعنى خرافة .. ولقد جاء ذلك فى كتاب جمع بحوثهم ونُشِرَ فى لندن عام ١٩٧٧ تحت عنوان « **أُسطورة تجسد الإله** » [١] .

تقول مقدمة الطبعة الخامسة لهذا الكتاب - والتى صدرت عام ١٩٧٨ - عن تطور المسيحية الغربية فى مواجهة معارف الإنسان الحديثة منذ القرن التاسع عشر : « **إنها قبلت التسليم بأن أسفار الكتاب المقدس كتبها مجموعة من البَشر فى ظروف متنوعة ولا يمكن الموافقة على اعتبار ألفاظها تنزيلاً إلٰهياً** .

إن المعارف الإنسانية تستمر فى النمو بمعدل متزايد ، كما أن الضغط على المسيحية يقوى أبداً مما يجعلها تُكَيِّف نفسها لتصير شيئاً يمكن الإيمان به ، إيمان أهل الفكر الواعى والإخلاص أولئك الذين جذبتهم إليها بعمق شخصية يسوع وما تُلقيه تعاليمه من أضواء على معنى حياة الإنسان .

---

(١) The Myth of God Incarnate, Edited by John Hick

إن المشتركين فى هذا الكتاب مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً آخر لا بد منه فى هذا الجزء الأخير من القرن العشرين . وتنبع الحاجة إليه من تطور معرفتنا بمصادر المسيحية ، ويتضمن ذلك اعترافاً أن يسوع كان - كما يُقَدِّمه لنا سِفر أعمال الرسل (٢ : ٢١) [١] - رجل قد تبرهن من قِبَلِ الله ، لأداء دور معين خلال هدف إلهى ، وأن التصور الذى لحق به أخيراً باعتباره الإله المتجسد ، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس الذى عاش حياة البَشر ، إن كل ذلك إلا أسلوب أسطورى أو شاعرى للتعبير عما يعنيه بالنسبة لنا .

إن هذا الاعتراف أصبح لازماً لصالح الحقيقة ..

ولنقلها الآن : إن ما نأمل فيه هو تنقية الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش ، وبذلك يتحرر الناس لخدمة الله فى طريق المسيحية باستقامة وكمال » .

* *

حقاً إن تحقيق الوحدة بين المؤمنين بالله والمؤمنين بالمسيح ليس له من سبيل سوى الكف عن الخلط بين الله والمسيح ، ثم تقديس الله بما يتفق وجلاله ، ثم الإيمان بأن المسيح « رجل قد تبرهن من قِبَلِ الله بقوّات وعجائب صنعها الله بيده » وأنه كان فقط « إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب » (لوقا:٢٤:١٩) .

ولا مجال - إذن - للحديث عن المسيح بأكثر من هذا الذى تقوله أسفار العهد الجديد .

---

(١) يقصد هنا ما قاله بطرس : « أيها الرجال الإسرائيليون .. اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » .

لقد وضحت المشكلة الآن ووضح حلها الوحيد ، لو جنح مَن يهمهم الأمر إلى العقل والصدق مع أنفسهم قبل الصدق مع الآخرين . والنتيجة المنطقية لذلك أن يكف المسيحيون عن التبشير بالمسيحية بين المسلمين بعد أن اتحدت بينهم أُسس العقيدة ، وأن يوجهوا نشاطهم إلى الوثنيين والمرتدين من الملاحدة الشيوعيين .

وآنذاك ينعم العالَم بسلام لم يشهده من قبل ، سلام من الله ، وسلام بين المؤمنين ، ثم سلام مفروض بعد ذلك على البقية من غير المؤمنين .

* * *

obeikandl.com

بيان للناس

إن خير ما نختم به كتاب « النبوّة والأنبياء » أن نضع كل إنسان أمام مسئوليته الفردية التى يتوقف عليها مصيره الأبدى كما يتوقف عليها صلاح حال الدنيا وتحقيق حياة أفضل للإنسان .

إن القرآن كتاب الله قد نزل من أجل كل الناس ، فالواجب المقدس يقتضى أن يلم كل إنسان بهذا الكتاب الذى جاء من أجله ، وعليه بعد ذلك أن يقرر ما يشاء .

*

يقول الله لكل الناس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

ويقول الله لرسوله فى القرآن وعن طريقه يقول للناس : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ ، فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ مِّنْ دِينِى فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِه ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ ﴾ .

(يونس : ١٠٤-١٠٩)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *
وَالَّذِينَ سَعَوْاْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ .

(الحج : ٤٩ - ٥١)

ويقول الله لليهود والنصارى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥ - ١٦) .

صدق الله العظيم

* * *

قائمة المراجع الرئيسية

١ - الأديان فى إفريقية المعاصرة (الرب والله وجوجو) : جاك مندلسون ترجمة إبراهيم أسعد - دار المعارف .

٢ - تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان - ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى - دار العلم للملايين - بيروت .

٣ - تاريخ الحروب الصليبية : ستيفن رنسيمان - ترجمة الدكتور السيد العرينى - دار الثقافة - بيروت .

٤ - موسوعة تاريخ العالم : أصدرها وليم لانجر - أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة - مكتبة النهضة المصرية .

٥ - الإسلام قوة الغد العالمية : باول شميتز - ترجمة الدكتور محمد شامة - مكتبة وهبة .

٦ - دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاى - دار المعارف .

٧ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية : إبراهيم خليل أحمد - مكتبة الوعى العربى .

٨ - تفسير ابن كثير .

٩ - البداية والنهاية : ابن كثير .

١٠ - حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل - دار المعارف .

١١ - مطلع النور : عباس محمود العقاد - دار الهلال .

١٢ - محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا - مكتبة غريب .

١٣ - الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل : صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى - بيروت .

obeikandl.com

١٤ - تفسير العهد الجديد : الدكتور وليم باركلى - ترجمة الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

١٥ - فلسطين بين الحقائق والأباطيل : أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة .

١٦ - محمد فى الكتاب المقدس (القس سابقاً) عبد الأحد داود ، ترجمة فهمى شتا - طبعة دار الضياء للنشر والتوزيع - الأردن عمان .

* *

17 - E. W . Heaton : the Old Testament Prophets, Penguin Books, 1964 .

18 - J. C. Fenton : Saint Matthew, Penguin Books,1963 .

19 - D. E. Nineham : Saint Mark, Penguin Books. 1963 .

20 - G. A. Wells : The Jesus of The Early Christians, Pemberton Books, London, 1971 .

21 - Peter Whiteley : Frontier Mission, Anglican Book Centre, Toronto, 1963 .

22 - ENCYCLOPEDIA AMERICANA , 1959 .

23 - ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960 .

24 - John Hick (and others) : The Myth of God Incarnate, edited by John Hick, London, 1978 .

* * *